المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

النسق الثقافي بين الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية: مقاربة تحليلية في ضوء المدرسة الأمريكية

م.د. أحمد حسين جوده الشرَيفي
كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

الملخص

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: إلى أيّ حدٍّ يمكن اعتبار الأنثروبولوجيا الثقافية إطارًا نظريًّا ومنهجيًّا فاعلًا في إعادة تأسيس الدراسات الأدبية المقارنة، بما يتجاوز الانغلاق اللغوي والنصّي نحو فهم أعمق للأنساق الثقافية التي يُنتَج في سياقها الأدب ويُتلقّى؟ وتهدف الدراسة إلى تحليل مستويات التقاطع المعرفي والمنهجي بين الحقلين، مع التركيز على المدرسة الأمريكية للأدب المقارن التي تجاوزت ثنائية التأثير والتأثّر نحو دراسة الأنساق الثقافية الكلّية. اعتمدت الدراسة منهجًا مركّبًا يجمع بين التحليل الوصفي والمقارن والتأويلي، وتوظّف أدوات التحليل المفاهيمي والقراءة الثقافية البينيّة. وتوصّلت إلى أنّ الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة، ولا سيّما مفاهيمها حول النسبية الثقافية والتثاقف والمنطقة الثقافية، توفّر أدوات تحليلية قادرة على تجديد مناهج الأدب المقارن وتوسيع أفقه المعرفي، وأنّ التكامل بين الحقلين يمثّل ضرورة معرفية في ظلّ تحوّلات العولمة والاتصال الثقافي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الأنثروبولوجيا الثقافية، المدرسة الأمريكية، النسبية الثقافية، التثاقف، الاتصال الثقافي، السبرنطيقا، الأنساق الثقافية، الإثنولوجيا.

Cultural Context Between Comparative Literature and Cultural Anthropology: An Analytical Approach in Light of the American School

Dr. Ahmed Hussein Joudah Al-Sharifi
College of Basic Education/University of Babylon

Abstract

This study stems from a central question: To what extent can cultural anthropology be considered an effective theoretical and methodological framework for re-establishing comparative literary studies, moving beyond linguistic and textual confines towards a deeper understanding of the cultural contexts within which literature is produced and received? The study aims to analyze the levels of epistemological and methodological intersection between the two fields, focusing on the American school of comparative literature, which has transcended the binary of influence and being influenced towards the study of holistic cultural contexts. The study adopts a composite methodology that combines descriptive, comparative, and interpretive analysis, and employs the tools of conceptual analysis and intercultural reading. The study concluded that contemporary cultural anthropology, particularly its concepts of cultural relativism, acculturation, and cultural regions, provides analytical tools capable of renewing comparative literature methodologies and broadening its epistemological horizons. It further argued that the integration of these two fields represents an epistemological necessity in light of the transformations of globalization and contemporary intercultural communication.

Keywords: Comparative Literature, Cultural Anthropology, American School, Cultural Relativism, Acculturation, Intercultural Communication, Cybernetics, Cultural Systems, Ethnology

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة منهجًا مركّبًا يتكامل فيه أربعة مسارات: الوصفي لتحديد البنى المعرفية والمقولات النظرية في كلّ حقل، والتحليلي لتفكيك المفاهيم المركزية كالثقافة والنسبية الثقافية والتثاقف، والمقارن للكشف عن مناطق التقاطع والتباين بين الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية، والتأويلي لاستكشاف الدلالات المعرفية للمقولات النظرية وإمكانات توظيفها. ويُبرَّر اعتماد هذا المنهج المركّب بطبيعة الموضوع البينيّة التي تتقاطع فيها حقول معرفية متعدّدة، إذ لا يمكن الاكتفاء بمسار واحد لمعالجة إشكالية تمتدّ بين علم الأدب وعلم الإنسان.

تسير الدراسة وفق ثلاثة مستويات تحليلية: الأوّل مفاهيمي يُعنى بتحديد المصطلحات وتعريفها إجرائيًّا، والثاني بنيوي مقارن يرصد الأطر النظرية والمنهجية للحقلين، والثالث تركيبي يقدّم رؤية حول إمكانات التكامل المنهجي. وتقتصر الدراسة على المستوى النظري دون التطبيق على نصوص أدبية بعينها، وتركّز على المدرسة الأمريكية والتيّارات الأنثروبولوجية الأكثر صلةً بالاتصال الثقافي.

المقدمة

تُعنى الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتطوّرها التاريخي، فتتتبّع مسارات النموّ الثقافي وتحلّل البنى الثقافية ووظائفها. وينصبّ اهتمامها على الثقافة بوصفها نسقًا شاملًا من الاستجابات الإنسانية للمشكلات التي تطرحها البيئة المادّية والاجتماعية، بما يشمل أنماط التفاعل بين المجتمعات وآليات انتقال المعارف والقيم (1).

وفي المقابل، يُعدّ الأدب المقارن حقلًا معرفيًّا يتجاوز الحدود اللغوية والجغرافية لدراسة التفاعلات الأدبية بين الثقافات المختلفة. وتمثّل الأعمال الأدبية جانبًا جوهريًّا من البنية الثقافية لأيّ مجتمع، إذ تعكس أنساقه القيمية وأنماط تفكيره وتصوّراته عن الذات والآخر. ومن هذا المنطلق، ينشأ تقاطع عميق بين الحقلين: فكلاهما يسعى إلى فهم الظواهر الثقافية وتحليل آليات انتقالها وتحوّلها عبر المجتمعات والأزمنة (1).

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل طبيعة هذا التقاطع وأبعاده، منطلقةً من فرضية مفادها أنّ الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة تمتلك أدوات نظرية ومنهجية قادرة على إثراء الدراسات الأدبية المقارنة وتجديد مقارباتها، ولا سيّما في ظلّ التحوّلات الكبرى التي يشهدها العالم المعاصر من عولمة ثقافية واتصال حضاري متسارع.

المبحث الأوّل: الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية ـــ الأسس النظرية المشتركة

أوّلًا: إعادة تنظيم الأدب المقارن في ضوء العلوم المعاصرة

يدرك الباحثون المعاصرون في حقل الأدب المقارن أنّ إعادة تنظيم هذا الحقل باتت ضرورة معرفية، بحيث يُعاد تأسيسه وفقًا لمعطيات العلوم الأساسية الطبيعية والتقنية والاجتماعية. وتستلزم إعادة التنظيم هذه تجاوز مفهوم العلم الأدبي المنغلق على ذاته، الذي يتعامل مع الأدب بوصفه عالمًا مكتفيًا بنفسه، نحو دراسة الظواهر الأدبية انطلاقًا من العمليات الإبداعية بوصفها جزءًا من الفعل الثقافي العامّ (2).

وبعبارة أدقّ، فإنّ التجديد المنهجي المطلوب يقتضي أن يرتكز الأدب المقارن على الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة، التي تمثّل حصيلة التطوّر العلمي المعاصر، ولا سيّما في مجال السبرنطيقا (علم التحكّم والاتصال) والنظرية العامة للاتصال (3).

ثانيًا: الأنثروبولوجيا الثقافية الكلاسيكية وصلتها بالدراسة المقارنة

أسهمت الأنثروبولوجيا الثقافية الكلاسيكية، من خلال أبحاثها حول الثقافات القديمة، في تقديم نماذج تحليلية ذات أهمّية للدراسات المقارنة. فالمقارنة الأدبية عملية تعاقبية وتزامنية في آنٍ واحد، ترتبط بالإثنوغرافيا وعلم الآثار وعلم النفس واللسانيات. غير أنّ الطابع الشفاهي للثقافات القديمة حال دون إدراج الأدب المكتوب ضمن موضوعات الدراسة الأنثروبولوجية المبكّرة (2).

ويُلاحظ أنّ هذه الدراسات المقارنة المبكّرة، وإن كانت معقّدة في بنيتها، إلّا أنّها أقلّ تعقيدًا من الدراسات المعاصرة، كما أشار إلى ذلك روس آشبي (Ross Ashby) في تحليله لمستويات التعقيد في النظم الثقافية (4).

ثالثًا: الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة وآليات الاتصال الثقافي

تتّسم الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة بدرجة أعلى من التعقيد المنهجي، إذ تبحث في خصائص التطوّر الثقافي للمجتمعات البشرية عبر العصور، وتُعنى بمسائل الاتصال الثقافي وقنوات التبليغ عبر الترجمة. وتشكّل الترجمة المقارنة نواة الاتصال الثقافي في العصر الراهن، فهي تقرّب الدراسة المقارنة من حقول جديدة كسوسيولوجيا الإبداع الفنّي، والتاريخ المقارن، والسيميائيات، ونظرية الاتصال الجماهيري (3).

وقد أسهمت السبرنطيقا في إلقاء الضوء على العلاقات المتبادلة والتداخلات بين النظم الثقافية وداخلها، ممّا أتاح دراسة التعقيد الثقافي بوصفه ظاهرة قابلة للتحليل العلمي. وتنطلق الأنثروبولوجيا الثقافية من حقيقة أساسية مفادها أنّه لم يُكتشَف حتى الآن مجتمع إنساني يخلو من اللغة والشعر والفنّ والتعليم، أي من الثقافة بمعناها الشامل (5).

وعلى هذا الأساس، يلتقي الحقلان عند هدف مشترك هو التعرّف على ثقافات الشعوب ومجتمعاتها، ورصد منابع التأثير عبر الترابطات (Connexion) وقنوات التبليغ التي تنتقل من خلالها المعلومات الثقافية. ومن أبرز هذه القنوات الثقافية اللغة والأدب بأشكاله المتنوّعة من شعر ونثر وقصص وروايات، التي يمكن نقلها وتحليلها من خلال الأدب المقارن (5).

رابعًا: المدرسة الأمريكية والانفتاح على الأنساق الثقافية

تتميّز المدرسة الأمريكية للأدب المقارن بتجاوزها لشرط اللغة بوصفه محدّدًا وحيدًا لهوية الأدب. فمن وجهة نظر هذه المدرسة، ينبغي أن تتّجه الدراسة المقارنة نحو ما وراء الحدود اللغوية والقومية، لتشمل مقارنة الأدب بمجالات التعبير الإنساني الأخرى (6). وتؤكّد الدراسات الترجمية المقارنة على التداخل بين الثقافات الكلّية (macro-culture) والثقافات الجزئية، وهو توجّه ينسجم مع الطابع العالمي الذي تتبنّاه المدرسة الأمريكية (7).

ويمكن ملاحظة هذا التداخل في النتاج الأدبي العالمي المترجم، الذي يحمل في مكوّناته ملامح واضحة من التشابه بين الثقافات، ولا سيّما في الإنتاج الأدبي ذي الطابع الجماعي مثل "ألف ليلة وليلة"، حيث تكشف الدراسات المقارنة عن تشابه بين التراث الشعبي الهندي والفارسي والعربي وتراث جنوب أوروبا.

خامسًا: إشكالية العولمة والخصوصية الثقافية

في سياق العولمة الثقافية المعاصرة، برز خطاب كوزموبوليتي يسعى إلى تجاوز فكرة التمايز الثقافي والخصوصية الأدبية، مقابل دعوات تنادي بنظام ثقافي عالمي جديد (8). وقد دفعت هذه التحوّلات الثقافات القومية إلى المطالبة بإدراج مبدأ الاستثناء الثقافي في الاتفاقيات والمنظّمات الدولية، مستعيرةً من الأنثروبولوجيا الثقافية مفهوم "التهجين الثقافي" بوصفه آليّةً لفهم ديناميات التفاعل بين الثقافات (9).

المبحث الثاني: الأنثروبولوجيا الثقافية ـــ المفهوم والإطار النظري

أوّلًا: التعريف والمفهوم

تُعرَّف الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology) بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان بوصفه عضوًا في بيئة اجتماعية ذات ثقافة محدّدة، حيث يمارس سلوكًا يتوافق مع منظومة القيم والعادات والأنظمة السائدة في مجتمعه. كما تُعنى بدراسة القيم الثقافية وأنماط الحياة والسلوكيات المعبّرة عن الثقافة، من خلال المقارنة بين المجتمعات القديمة والمعاصرة (10).

وتهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، ودراسة عمليات التغيير والتمازج الثقافي وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات. وترتبط في ذلك بما يُعرف بعلم اجتماع الثقافة، الذي يُعنى بتحليل العلاقة بين أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية، وتحديد وظائف هذا الإنتاج في المجتمعات ذات التركيب الطبقي (11).

ثانيًا: اعتبارات تحليلية في العلاقة بين الثقافة والمجتمع

يستدعي تحليل العلاقة بين الإنتاج الفكري والبنية الاجتماعية الانتباه إلى عدّة اعتبارات جوهرية:

الاعتبار الأوّل: إنّ التجانس الثقافي بالمعنى الأنثروبولوجي (Philosophical and Anthropological) يختلف عن عمليات التصنيف الاجتماعي، لأنّه يغطّي وجودًا فعليًّا لأنماط ثقافية متعدّدة قد تتناقض مضمونًا ووظيفةً داخل المجتمع الواحد. فعلى الرغم من العوامل الأنثروبولوجية المشتركة، قد لا تتحقّق "ثقافة للجميع" (A culture for everyone) في المجتمعات ذات التركيب الطبقي (11).

الاعتبار الثاني: إنّ الإنتاج الفكري تعبير عن مرحلة معيّنة من التمايز بين الأصناف الاجتماعية والاقتصادية. واستعمال مفهوم التركيب التنضيدي (Stratification) يُدخل في حقل التحليل المجتمعات التاريخية التي يكون مضمونها الطبقي محلّ نقاش (12).

الاعتبار الثالث: ليس الجوهري من الناحية التحليلية إثبات وجود العلاقة بين الإنتاج الفكري والواقع الاجتماعي، بقدر ما هو تحليل أشكال هذه العلاقة في سياقات تاريخية واجتماعية محدّدة، وهو ما يرتبط بالنقاش حول التبادل الدياليكتيكي (Dialectical Exchange) بين البنية التحتية والبنية الفوقية. وقد أسهمت سوسيولوجيا الأدب والفنّ في تطوير هذا التحليل، ممّا يمثّل أحد أسس الترابط بين الأنثروبولوجيا والأدب المقارن (13).

الاعتبار الرابع: لا يكفي تحديد الكيفية التي يحوّل بها الإنتاج الفكري (Intellectual Production) معطيات الواقع، بل ينبغي الكشف عن الوظيفة الاجتماعية والسياسية لهذا الإنتاج، إذ إنّ المنتجين ينتمون إلى فئات مثقّفة تؤدّي أدوارًا متباينة إزاء الطبقات الاجتماعية المختلفة (13).

ثالثًا: الأنثروبولوجيا الثقافية والتنفيس الاجتماعي — نموذج تطبيقي

تكشف دراسة الوسط الثقافي عن الآليات السيكولوجية التي توجّه سلوك الأفراد داخل المجتمع. ومن النماذج الدالّة على ذلك طقوس "الآبو" (Apo) لدى قبائل الآشانتي (Ashanti) في غرب أفريقيا، حيث يُتاح لأفراد المجتمع خلال هذه الطقوس التعبير عن استيائهم تجاه أصحاب السلطة علنًا. ويُنظر إلى هذه الآلية، ذات البعد الفرويدي في جوهرها، بوصفها أداةً لتصحيح الاختلال في التوازن الاجتماعي والنفسي (14).

ويكشف هذا النموذج عن قدرة المقاربة الأنثروبولوجية على إضاءة الأبعاد الثقافية العميقة للممارسات الاجتماعية، وهي أبعاد تنعكس حتمًا في النتاج الأدبي للمجتمعات وتشكّل مادّةً خصبة للدراسة المقارنة.

المبحث الثالث: نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطوّرها

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية بوصفها فرعًا مستقلًّا عن الأنثروبولوجيا العامة إلّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنجليزي إدوارد تايلور (Edward Burnett Tylor) الذي قدّم أوّل تعريف شامل للثقافة عام 1871م في كتابه "الثقافة البدائية" (15) (Primitive Culture). وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بخمس مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى: التأسيس (حتى نهاية القرن التاسع عشر)

تميّزت هذه المرحلة بمحاولات رسم صورة عامة لتطوّر الثقافة والبحث عن نشأة المجتمع الإنساني. وبرز إلى جانب تايلور العالم الأمريكي فرانز بواز (Franz Boas) الذي اعتمد الاتّجاه التاريخي في دراسة الثقافات، من خلال إجراء دراسات تفصيلية لثقافات المجموعات الصغيرة من جهة، وعقد مقارنات بين مسارات التطوّر الثقافي للوصول إلى قوانين عامة تحكم نموّ الثقافات من جهة أخرى (16).

المرحلة الثانية: التكوين (1900–1915م)

تركّزت الجهود البحثية على مجتمعات صغيرة محدّدة لتوثيق ثقافاتها قبل اندثارها. وفي هذا السياق، توصّل الباحث الأمريكي كلارك وسلر (Clark Wissler) إلى مفهوم "المنطقة الثقافية" (Cultural Area) بوصفه أداةً لدراسة الأقاليم ذات الثقافات المتشابهة، حيث شبّه المنطقة الثقافية بدائرة تتركّز عناصرها في المركز وتتضاءل كلّما ابتعدت عنه (17).

المرحلة الثالثة: الازدهار (1915–1930م)

شهدت هذه المرحلة نضج الأنثروبولوجيا الثقافية من حيث مفاهيمها ومناهجها، وترافق ذلك مع ازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا وظهور المدرسة الانتشارية في إنجلترا، ولا سيّما بعد تبنّي مفهوم المنطقة الثقافية إطارًا لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها (18).

المرحلة الرابعة: التوسّع (1930–1940م)

تميّزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية علمًا مستقلًّا، مع تخصيص مقرّرات دراسية لها. وبرزت في هذه المرحلة النظرية التكاملية (Integral Theory) التي تبنّاها إدوارد سابير (Edward Sapir)، مؤكّدًا أنّ جوهر الثقافة ليس إلّا تفاعل الأفراد وما ينجم عنه من علاقات وطرائق حياة

مشتركة. كما تأثّرت الأنثروبولوجيا الثقافية في هذه الفترة بأبحاث مالينوفسكي (Malinowski) وبراون (Radcliffe-Brown) في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية (18).

المرحلة الخامسة: المرحلة المعاصرة (منذ 1940م)

تمتاز بتوسّع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية خارج أوروبا وأمريكا نحو أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وظهر الاتّجاه القومي الذي يهدف إلى تحديد خصائص الثقافة القومية، وتبنّته الباحثة الأمريكية روث بندكت (Ruth Benedict) في دراستها للثقافة اليابانية. كما برز مفهوم "الانطوائية القومية" الذي يشير إلى تفضيل الفرد لطريقة قومه في الحياة على طرائق الأقوام الأخرى (19).

وتتجلّى هذه الانطوائية في الأساطير والقصص الشعبية، كأسطورة أصل الأعراق البشرية لدى هنود الشيروكي، التي تعكس تصوّرهم لتفوّق عرقهم من خلال سردية أسطورية رمزية (20).

المبحث الرابع: مستويات التداخل بين الأنثروبولوجيا والأدب المقارن

تُعدّ الاختلافات في الثقافة الإنسانية حقيقة تفرضها ظروف تتعلّق بالتكوين الاجتماعي والتاريخي للمجتمعات. غير أنّ هذا التنوّع لا يتنافى مع إمكانية التقارب والتمازج الثقافي، بل إنّ الأدب المقارن يقوم في جوهره على فرضية أنّ الإبداع الأدبي ظاهرة إنسانية تتجاوز الحدود اللغوية والثقافية.

أوّلًا: فروع الأنثروبولوجيا الثقافية وصلتها بالمقارنة الأدبية

اتّفق علماء الأنثروبولوجيا على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة فروع رئيسة: علم الآثار، واللسانيات، والإثنولوجيا (علم الأعراق البشرية) (21). ويختصّ الأخير بدراسة الخصائص اللغوية والثقافية للشعوب على أسس مقارنة، وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بهدف استنباط تعميمات حول أصول الثقافات وتطوّرها (22).

وقد دعمت دراسات هرسكوفيتز فكرة النسبية الثقافية التي تتساءل: كيف يمكن إطلاق أحكام تقييمية على ثقافة لا تعرف الكتابة، في حين أنّ كلّ فرد يفسّر الحياة الإنسانية في حدود ثقافته الخاصة؟ وقد استنتج من ذلك أنّ سعي الثقافة الغربية لإطلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى يمثّل خطأً منهجيًّا لا يمكن أن يكون مبرّرًا لأيّ ممارسة هيمنية (23).

ثانيًا: نظرية الاتصال الثقافي (التثاقف والمثاقفة)

تشكّل نظرية الاتصال الثقافي أحد أبرز الأطر النظرية التي تجمع بين الأنثروبولوجيا والأدب المقارن. وقد عُرّف التثاقف (Acculturation) عام 1935م بأنّه يشمل الظواهر الناجمة عن الاحتكاك المباشر والمستمرّ بين جماعتين مختلفتين ثقافيًّا، وما يترتّب على ذلك من تغيّرات في أنماط الثقافة الأصلية لدى إحدى المجموعتين أو كلتيهما (24).

وقد طرح الباحث الكوبي فرناندو أورتيز (Fernando Ortiz Fernández) مفهومًا بديلًا هو "المناقلة الثقافية" (Transculturation) عام 1940م، مؤكّدًا أنّ الانتقال من ثقافة إلى أخرى لا يقتصر على اكتساب ثقافة جديدة فحسب، بل يتضمّن بالضرورة فقدانًا نسبيًّا من الثقافة السابقة، وهو ما يُعرف بالتجريد الثقافي (Deculturation)، ويقود في نهاية المطاف إلى نشأة ثقافة جديدة (25).

ويُلاحظ أنّ هذا الإطار النظري يتقاطع مع جوهر الأدب المقارن القائم على مبدأ التأثير والتأثّر بين الآداب والثقافات، ويوفّر أدوات مفاهيمية لتحليل ديناميات الانتقال الثقافي التي تنعكس في النصوص الأدبية.

ثالثًا: النظرية التطوّرية الجديدة

برزت في منتصف القرن العشرين مجموعة من الأنثروبولوجيين الذين سعوا إلى تطوير نظرية خاصة لدراسة مراحل التطوّر الثقافي للمجتمعات الإنسانية. وكان من أبرزهم عالم الآثار جوردن تشايلد، والأمريكيّان جوليان ستيوارد وليزلي هوايت. وقد أكّد هوايت في كتابه "علم الثقافة" (1949م) أنّ النظرية التطوّرية ينبغي ألّا تقتصر على تحديد مراحل التسلسل الثقافي، بل لا بدّ من إبراز العوامل المحرّكة لهذا التطوّر (26).

كما أوضح ستيوارد (Julian Steward) أنّ تعدّد الأصول التطوّرية المتوازية حقيقة يمكن إدراكها عبر مقارنة التغيير الثقافي في ثقافات متباينة، وحدّد ثلاثة عناصر تحكم التطوّر الثقافي: النظم الأساسية في مقابل الهامشية، والنمط الثقافي، ومستويات التكامل الاجتماعي والثقافي (27). وبذلك انتقلت النظرية التطوّرية من التفسير الأحادي إلى تفسير متعدّد العوامل والمسارات.

رابعًا: المدارس الفكرية في دراسة التطوّر الثقافي

انبثق عن الاتّجاه التطوّري ثلاث مدارس فكرية ذات صلة بالدراسة المقارنة:

المدرسة الأولى: تأخذ بمبدأ الوحدة السيكولوجية للبشر، فتفترض أنّ التاريخ يتّجه في تتابع واحد حين تتطوّر النظم والمعتقدات، وأنّ الثقافة تتطوّر في بيئات متشابهة الظروف العقلية والتاريخية (28).

المدرسة الثانية: تعتمد المنهج المقارن المنظّم في معالجة التتابع التطوّري للنظم الإنسانية، من خلال عقد مقارنات بين آداب الشعوب وثقافاتها في المراحل المبكّرة، بحثًا عن المصادر الأنثروبولوجية للسمات الثقافية.

المدرسة الثالثة: تركّز على البقايا والرواسب الثقافية بوصفها شواهد منطقية على المراحل التي مرّ بها المجتمع في تطوّره من أنماط أقلّ تعقيدًا إلى أنماط أكثر تركيبًا (28).

نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. إنّ الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة توفّر إطارًا نظريًّا ومنهجيًّا قادرًا على إعادة تنظيم الدراسات الأدبية المقارنة، بما يتجاوز الانغلاق اللغوي والنصّي نحو فهم أعمق للأنساق الثقافية التي يُنتَج في سياقها الأدب.

2. إنّ مفاهيم النسبية الثقافية والتثاقف والمناقلة الثقافية والمنطقة الثقافية تمثّل أدوات تحليلية فاعلة في الدراسة الأدبية المقارنة، لا سيّما في تحليل آليات انتقال الأفكار والمضامين الأدبية بين الثقافات.

3. إنّ المدرسة الأمريكية للأدب المقارن، بتجاوزها شرط اللغة وانفتاحها على مجالات التعبير الإنساني المتنوّعة، تُعدّ الأقرب منهجيًّا إلى المقاربة الأنثروبولوجية الثقافية.

4. إنّ النظرية التطوّرية الجديدة في الأنثروبولوجيا الثقافية، بانتقالها من التفسير الأحادي إلى التفسير المتعدّد العوامل، تقدّم نموذجًا منهجيًّا يمكن الاستفادة منه في تحليل تطوّر الآداب وتفاعلاتها.

5. إنّ التكامل بين الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية يتيح مقاربة أشمل للظواهر الأدبية، ترتبط بسياقاتها الاجتماعية والثقافية العميقة.

التوصيات

1. العمل على تأسيس دراسات أنثروبولوجية عربية تتّجه نحو تحليل البنى الثقافية للمجتمعات العربية وربطها بالنتاج الأدبي، بما يُسهم في تطوير مقاربات مقارنة ذات خصوصية عربية.

2. تبنّي المنهج الأنثروبولوجي النقدي في برامج الأدب المقارن الأكاديمية، من خلال توسيع نطاق الدراسة ليشمل الأبعاد الثقافية والاجتماعية للنصوص الأدبية.

3. تطوير تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية عبر إدراج مقرّرات تتناول العلاقة بين الأدب والأنثروبولوجيا، واستحداث برامج بينيّة تجمع بين الحقلين.

4. إجراء دراسات تطبيقية تختبر إمكانات المفاهيم الأنثروبولوجية (كالتثاقف والنسبية الثقافية) في تحليل نصوص أدبية محدّدة من تراث الآداب المقارنة.

الهوامش

(1) ينظر: النوري، قيس، المدخل إلى علم الإنسان، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، بغداد، 1983م.

(2) ينظر: حفناوي بعلي، الترجمة الثقافية المقارنة: جسور التواصل ومعابر التفاعل، دار اليازوري العلمية للنشر، الجزائر، 2014م، ص210.

(3) ينظر: بنجو روسيف (Penjo Rusev)، الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة عبد القادر بوزيدة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 2، ص174.

(4) ينظر: مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، سلسلة كتب ثقافية، الكويت، 1978م، ص292.

(5) ينظر: بنجو روسيف، الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية، ص175.

(6) ينظر: ميشيل كلوغ، عولمة أمريكا، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 10، 1998م، ص22.

(7) المصدر نفسه، ص22.

(8) ينظر: عبد المجيد مزيان، مفهوم الأمن الثقافي، مجلة الثقافة، العدد 76، 1983م، ص11.

(9) ينظر: حفناوي بعلي، الترجمة الثقافية المقارنة، مرجع سابق.

(10) ينظر: بيلز هويجر، مقدمة في الأنثروبولوجيا، ترجمة: الجوهري، دار النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1976م، ص21.

(11) ينظر: لبيب الطاهر، سوسيولوجية الثقافة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 1987م، ص24-26.

(12) ينظر: Pierre Tripier et al, Dictionnaire des sciences humaines – Anthropologie/Sociologie, Nathan, 1994, p. 56.

(13) ينظر: هرسكوفيتز، ميلفيل، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: رباح النفاخ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م، ص59.

(14) المصدر نفسه، ص59. وينظر كذلك: Barnouw, V. (1972). Cultural Anthropology, Homewood, Illinois: Irwin Inc., p. 7.

(15) ينظر: Barnouw, V. (1972). Cultural Anthropology, Homewood, Illinois: Irwin Inc.

(16) ينظر: أبو زيد، أحمد، البناء الاجتماعي: مدخل لدراسة المجتمع، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ص202.

(17) ينظر: Kroeber, Alfred L., "The Cultural Area and Age Area Concepts of Clark Wissler", in Rice, Stuart A. (ed.) (1931), Methods in Social Science, University of Chicago Press, pp. 248-265.

(18) ينظر: هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ص72.

(19) المصدر نفسه، ص72.

(20) المصدر نفسه، ص72.

(21) ينظر: إسماعيل قباري، الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1973م، ص460.

(22) ينظر: كلوكهون، كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة: شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1964م، ص31.

(23) ينظر: فهيم، حسين، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة (198)، الكويت، 1986م، ص149.

(24) ينظر: هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ص221.

(25) ينظر: هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ص227.

(26) ينظر: فهيم، حسين، قصة الأنثروبولوجيا، ص203.

(27) ينظر: يحيى مرسي، أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2007م، ص368-369.

(28) ينظر: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتّاب العرب، (مصدر إلكتروني)، ص154.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلًا: المصادر العربية

1. القرآن الكريم.

2. أبو زيد، أحمد، البناء الاجتماعي: مدخل لدراسة المجتمع، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

3. إسماعيل، قباري، الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1973م.

4. بنجو روسيف (Penjo Rusev)، الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة عبد القادر بوزيدة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 2، 1997م.

5. بيلز هويجر، مقدمة في الأنثروبولوجيا، ترجمة: الجوهري، تحقيق: الحسني، دار النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1976م.

6. حفناوي بعلي، الترجمة الثقافية المقارنة: جسور التواصل ومعابر التفاعل، دار اليازوري العلمية للنشر، الجزائر، 2014م.

7. سلوى السيد عبد القادر، الأنثروبولوجيا والقيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2019م.

8. عبد المجيد مزيان، مفهوم الأمن الثقافي، مجلة الثقافة، العدد 76، 1983م.

9. فهيم، حسين، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ الإنسان، سلسلة عالم المعرفة (198)، الكويت، 1986م.

10. قيس النوري، المدخل إلى علم الإنسان، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، بغداد، 1983م.

11. كلوكهون، كلايد، الإنسان في المرآة: علاقة الأنثروبولوجيا بالحياة المعاصرة، ترجمة: شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين، بغداد، 1964م.

12. لبيب الطاهر، سوسيولوجية الثقافة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 1987م.

13. مجموعة من الكتّاب، نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، سلسلة كتب ثقافية، الكويت، 1978م.

14. مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتّاب العرب (مصدر إلكتروني).

15. ميشيل كلوغ، عولمة أمريكا، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 10، 1998م.

16. هرسكوفيتز، ميلفيل، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: رباح النفاخ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م.

17. يحيى مرسي، أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2007م.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

1. Barnouw, V. (1972). Cultural Anthropology. Homewood, Illinois: Irwin Inc.

2. Kroeber, Alfred L. (1931). "The Cultural Area and Age Area Concepts of Clark Wissler". In Rice, Stuart A. (ed.), Methods in Social Science. University of Chicago Press, pp. 248-265.

3. Pierre Tripier et al. (1994). Dictionnaire des sciences humaines – Anthropologie/Sociologie. Nathan.